البيت السفياني

يزيد الأول بن معاوية

٦٠ـ ٦٤ هـ / ٦٨٠ـ ٦٨٣م

هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس القرشي، يكنى « أبا خالد » ، وجدته من جهة أبيه: هند بنت عتبة بن ربيعة، أسلمت يوم الفتح، وكانت من أعقل النساء، حازمة شاعرة ذات نفس وأنفة، وأمه ميسون بنت بجدل الكلبية شاعرة من شاعرات العرب، وكانت امرأة لبيبة وأبوها من أشراف قبيلة كلب .

كانت ولادة يزيد بن معاوية في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه في سنة ٢٦ هـ ، وقيل: إن ولادته وولادة عبد الملك بن مروان في سنة واحدة سنة ٢٦ هـ ، وقد أرسله والده لأسباب؛ منها ما يتعلق بعدم رغبة زوجته ميسون في العيش في المدينة وعشقها لحياة البادية، ومنها ما يتعلق برغبة الخليفة معاوية في إكساب ابنه الفصاحة وليتعلم من أخلاق البادية والفروسية. وبعد عودة يزيد من عند أخواله؛ اعتنى والده بتربيته عناية فائقة، فخصص له معلماً ومؤدباً يدعى دغفل السدوسي الشيباني، إضافة إلى إشراف والده على تربيته فأثّرت في طباعه تلك النشأة فتراه يتميز بالفصاحة والخطابة والكرم، والشجاعة، واستمر متعلقاً بالبادية، حتى إنها أثرت في لباسه وعدم التكلف في حياته.

ناقش د. عمر العقيلي الروايات المتعلقة بفكرة مبايعة يزيد، وخَلُص إلى أن فكرة ولاية العهد نابعة من الخليفة معاوية بن أبي سفيان نفسه، الذي كان حريصاً على إعداد ابنه من البداية لتحمُّل هذه المسؤولية.

أما موقف أهل الحل والعقد من مبايعة يزيد بولاية العهد؛ فكانت متباينة وتتركز في الغالب على الاعتراض على الطريقة؛ والمتمثلة في توريث الحكم وليس على يزيد وأهليّته لشغل منصب الخلافة. وقد حاول عدد من المؤرخين بقصد أو بغير قصد الخلطَ بين الحالتين، حتى تولدت قناعة لدى الكثيرين أن اعتراض كبار أبناء الصحابة كان على يزيد بن معاوية لعدم أهليّته. وهذا خلط غير صحيح، ويخالف رؤية المعارضين الذين نصحوا معاوية بترك الأمر شورى بين المسلمين والابتعاد عن فكرة توريث الحكم.

٩ مسألة في يزيد

سُئل شيخ الإسلام « ابن تيمية » عن **يزيد** بن معاوية، فقال : افترق الناس في يزيد بن معاوية بن أبي سفيان **ثلاث فرق** طرفان ووسط ، **فأحد الطرفين قالوا** : إنه كان كافراً منافقاً، وإنه سعى في قتل سبط رسول الله تشفياً من رسول الله صلى الله عليه وسلم، و انتقاماً منه، وأخذاً بثأر جده عتبة، و أخي جده شيبة، و خاله الوليد بن عتبة و غيرهم ممن قتلهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بيد علي بن أبي طالب و غيره يوم بدر و غيرها، و قالوا: تلك أحقاد بدرية و آثار جاهلية. و هذا القول سهل على الرافضة الذين يكفرون أبا بكر و عمر وعثمان ، فتكفير يزيد أسهل بكثير. **والطرف الثاني**، يظنون أنه كان رجلاً صالحاً و إماماً عادلاً، و إنه كان من الصحابة الذين ولدوا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم و حمله بيده و برّك عليه و ربما فضله بعضهم على أبي بكر و عمر، و ربما جعله بعضهم نبياً .. و هذا قول غالية العدوية و الأكراد - قلت: يعني « اليزيدية وأحياناً تسمى الأزيدية » - و نحوهم من الضُلاّل . **و القول الثالث** : إنه كان ملكاً من ملوك المسلمين له حسنات و سيئات و لم يولد إلا في خلافة عثمان و لم يكن كافراً و لكن جرى بسببه ما جرى من مصرع الحسين و فعل ما فعل بأهل الحرة، و لم يكن صحابياً ولا من أولياء الله الصالحين، و هذا قول عامة أهل العقل و العلم و السنة و الجماعة. ثم افترقوا ثلاث فرق، فرقة لعنته، و فرقة أحبته، و فرقة لا تسبه ولا تحبه و هذا هو المنصوص عن الإمام أحمد و عليه المقتصدون من أصحابه و غيرهم من جميع المسلمين . سؤال في يزيد (ص٢٠).

الأحداث السياسية الكبرى في عهد يزيد بن معاوية

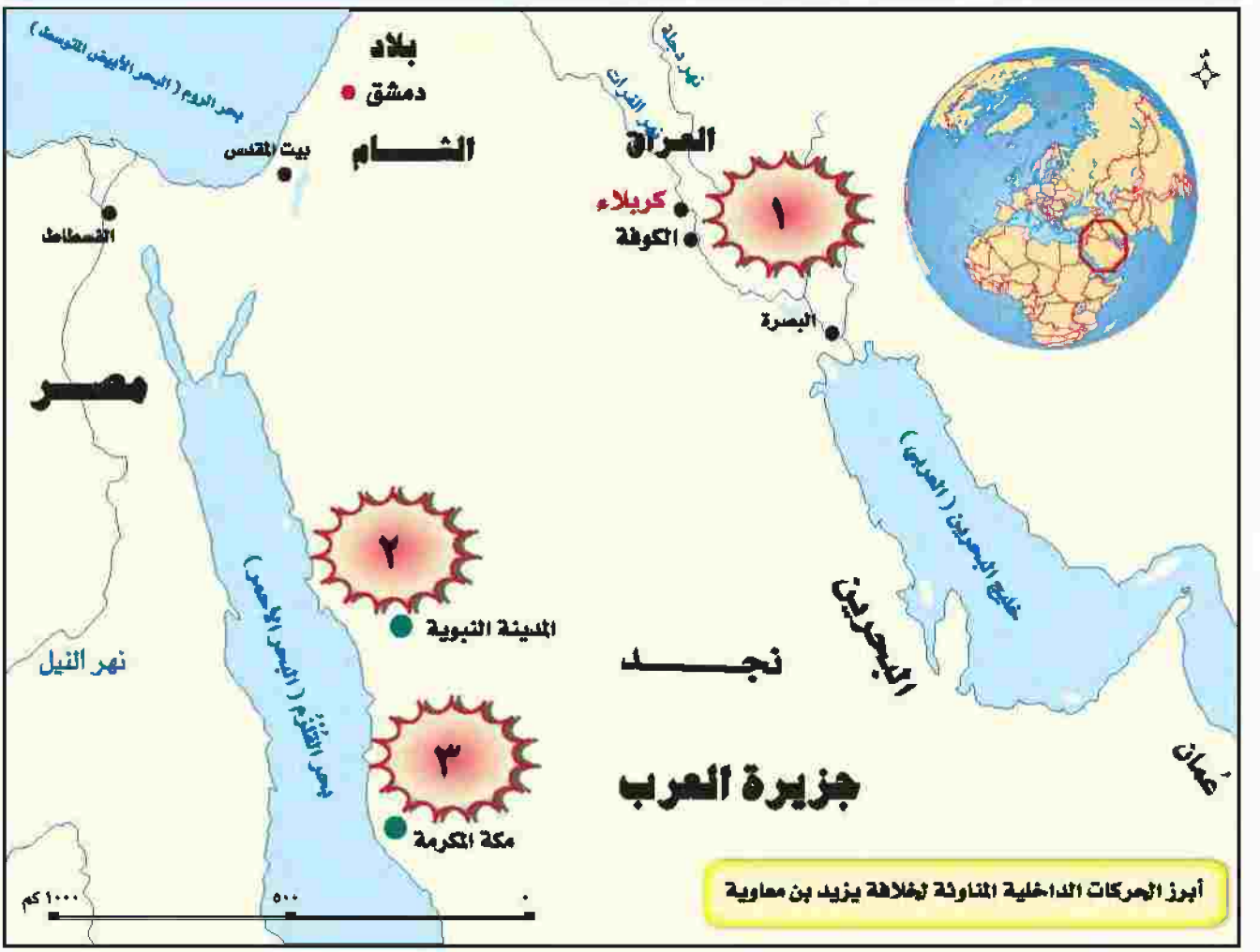

أولاً : وقعة كربلاء واستشهاد الحسين بن علي رضي الله عنهما سنة ٦١ هـ

موجز معركة كربلاء:

هي معركة وقعت في (العاشر من المحرم سنة ٦١ هـ) بمدينة كربلاء بالعراق بين الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه و جيش يزيد بن معاوية، **وسببها**: أن يزيد لما ولي الخلافة رفض الحسين مبايعته وكان **بالمدينة النبوية**، فتركها ورحل إلى **مكة**، لكن شيعة الكوفة أرسلوا له كتباً يدعونه إلى الذهاب إليهم، فلما وصلت تلك الرسائل إلى الحسين بعث ابن عمه مسلم بن عقيل ليتبين حقيقة الأمر، فسار إلى **الكوفة**، والتف حوله كثير من الشيعة وبايعوه، فاغتر بما شاهده، وأرسل إلى الحسين يستحثه على القدوم. وفي تلك الأثناء تولى عبيد الله بن زياد إمارة الكوفة إلى جانب البصرة، فأخذ الشيعة بالشدة، فتفرقوا عن مسلم بن عقيل وانتهى الأمر بقتله. ولما استبطأ الحسين أخبار مسلم خرج إلى الكوفة على رأس ثمانين رجلاً، فلما دنا منها وعلم بقتل مسلم بن عقيل وخذلان أهلها له، همّ بالرجوع، لكن إخوة مسلم صمموا على الأخذ بثأر أخيهم أويُقْتَلون دونه، فنزل الحسين على رأيهم وسار حتى نزل **كربلاء**، وهناك التقى جيش عبيد الله بن زياد بالحسين بن علي رضي الله عنه، ونشب قتال بينهما انتهى باستشهاد الحسين وكثيرٍ من أهل بيته.

قال أبو عبيد البكري في معجم ما استعجم في أسماء البلاد والمواضع:

كَرْبَلاَء: بفتح أوّله، وإسكان ثانيه، بعده باء معجمة بواحدة، ممدود: موضع بالعراق من ناحية الكُوفة، مذكور في رسم العُذَيب. وفي هذا الموضع قُتِلَ الحُسَيْن بن عليّ رضي الله عنهما، قال كُثَيِّر:

فسِبْطٌ سِبْطُ إيمانٍ وبِرٍّ ... وسِبْطٌ غَيَّبَتْهُ كَرْبَلاَءُ

وهُنَاك الطَّفُ أيضاً؛ قال ابن رُمَّح الخُزَاعيّ في مَقْتَل الحسين رضي الله عنه. وإنّ قَتيلَ الطَّفِّ من آلِ هاشِمٍ ... أَذَلّ رِقَابَ المسلمين فذَلَّت

كربـــــلاء

كَرْبَلاءُ: بالمدّ: وهو الموضع الذي قُتل فيه **الحسين بن عليّ**، رضي الله عنه، في طرف البرّية عند الكوفة، فأما اشتقاقه فالكربلة رخاوة في القدمين، يقال: جاء يمشي مُكَرْبِلاً، فيجوز على هذا أن تكون أرض هذا الموضع رَخْوة فسميّت بذلك؛ ويقال: كَرْبَلْتُ الحنطة إذا هَذَبْتها ونقيتها؛ وينشد في صفة الحنطة:

يحمل حمراء رسوباً للثقلّ ... قد غُرْبِلَت وكُرْبِلَت من القَصَلّ.

فيجوز على هذا أن تكون هذه الأرض مُنْقاة من الحصى والدَّغَل فسميّت بذلك، والكَرْبَل: اسم نبت الحُمّاض؛ وقال أبو وَجْزَةَ يصف عُهُونَ الهَودَج:

وذامرُ كربل وعميم دِفْلَى ... عليها والندى سبط يمور

فيجوز أن يكون هذا الصنف من النبت يكثر نبتُه هناك فسُمّي به، وقد روي أن **الحسين**، رضي الله عنه، لما انتهى إلى هذه الأرض قال لبعض أصحابه: ما تسمّى هذه القرية؟ وأشار إلى العَقْر، فقال له: اسمها العقر، فقال الحسين: نَعُوذ بالله من العَقْر! ثم قال: فما اسم هذه الأرض التي نحن فيها؟ قالوا: كَرْبَلاء، فقال: أرضُ كَرْب وبلاء! وأراد الخروج منها فمنع كما هو مذكور في مقتله حتى كان منه ما كان؛ ورثَتْه زوجتُه عاتكة بنت زيد ابن عمرو بن نفيل فقالت:

واحُسيناً! فلا نسيتُ حُسيناً ... أقْصَدَتْهُ أسِنَّةُ الأعداء

غادروه بكربلاءَ صَريعاً، ... لا سَقَى الغيثُ بعده كربلاء

ونزل خالد عند فتحه الحيرة كربلاء فشكا إليه عبد الله ابن وثيمة البصري الذُّبْيَانَ فقال رجل من أشجع في ذلك:

لقد حُبِسَتْ في كربلاء مطيّتي ... وفي العَين حتى عاد غَثّاً سمينُها

إذا رحلَتْ من منزل رجعَتْ له، ... لَعَمْري وأيها إنني لأمينُها

ويمنَعها من ماء كلّ شريعة ... رَفاقٌ من الذُّبْيانِ زُرْقٌ عيونُها

الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٤٥ .

اعتصام الحسين بمكة المكرمة

كان إصرار يزيد على طلب البيعة من الحسين وابن الزبير ـ رضي الله عنهما ـ هو الشرارة الأولى في الفتنة التي اندلعت بين المسلمين فقد شعر كل منهما بأنه مطلوب، وأنه إذا لم يبايع فسيكون ضحية لسياسة يزيد، وأن سيوف أعوان الخليفة الجديد أصبحت مسلولة عليهم، فعادا إلى البيت الحرام، ولجأ إلى مكة المكرمة يطلبان فيها الأمان، ويحتميان بحمى الله فيها، حيث كان إصرار يزيد موحياً بعدم تأمين الحياة لهما، وبأن بقاءهما في عهد يزيد محفوف بالمخاطر، وذلك أدى بهما إلى أن يبحثا عن الأمان، ولم يجداه إلا في تجييش أنصارهما، وحشدهم في مكان يصعب على يزيد وأعوانه أن يقتحموه وكان ذلك في **مكة المكرمة**، بجوار بيت الله الحرام الذي قال فيه: ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً ﴾ (آل عمران، الآية: ٩٧). ولم يكن لهذا التجمع وذلك الحشد نتيجة سوى المواجهة التي أودت بحياة المئات من المسلمين، وكان على رأس هؤلاء جميعاً الحسين بن علي ـ رضي الله عنهما ـ حيث قُتِل في كربلاء ـ شهيداً ـ على يد فئة ظالمة من جيش عبيد الله بن زياد.

طريق الحسين بن علي إلى كربلاء

يبدأ هذا الطريق من مكة المكرمة وينتهي بمدينة كربلاء حيث يبلغ طول هذا الطريق قرابة ١٥٠٠كم تقريباً، والطريق المذكور في هذه الخارطة هو الطريق التجاري بين الجزيرة وبلاد الرافدين قديماً وحديثاً كانت عاصمتها الحيرة « الكوفة »، حيث يمر عادة هذا الطريق على بعض آبار ركك والحواجز المائية، ولاسيما أن صحراء النفود في شمالي الجزيرة تشكل عقبة كأداء في مسالك التجار والحجاج، لذلك عرف هذا الطريق منذ القدم؛ الأمر الذي رأت معه زبيدة بنت جعفر زوجة الخليفة العباسي هارون الرشيد أن تنشئ عليه البرك والآبار والسدود، كما هو موضح في الصور المرفقة .

كتب عبد الله بن جعفر إلى الحسين مع ابنه عون ومحمد، أما بعد: فإني أسائلك بالله لما انصرفت حتى تنظر في كتابي هذا فإني مشفق عليك من الوجه الذي توجهت له أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك إن هلكت اليوم، طفىء نور الإسلام فإنك علم المهتدين ورجاء المؤمنين فلا تعجل بالسير فإني في إثر كتابي والسلام - ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية جـ٨/ص١٦٧

كاتب أهل الكوفة الحسين بن علي رضي الله عنهما ليحضر إليهم ليبايعوه بالخلافة، وبالفعل أرسل إليهم **مسلم ابن عقيل** بن أبي طالب الذي توجه إليهم فبايعه أكثر من اثني عشر ألفاً وقيل ثمانية عشر ألفاً، وشاع الخبر، وعُزِل النعمان بن بشير عن الكوفة وأسند أمرها إلى والي البصرة عبيد الله بن زياد، **وكتب عقيل إلى الحسين يدعوه إلى المجيء إلى الكوفة** على الرغم من تحذير الكثير من الصحابة له من غدر أهل الكوفة، وكان خروج مسلم في الكوفة يوم ٦ ذي الحجة وقد انفرط الجمع الذي كان حول مسلم، حيث تمكن ابن زياد من قتله، وبعد أن **خرج الحسين** قام ابن زياد الذي وصل إلى الكوفة ثم سيطر عليها، ثم ما لبث أن وجّه قوة بقيادة عمر بن سعد لمنع اقتراب **الحسين** من الكوفة. كما سيرد تفصيل ذلك في الصفحات القادمة من هذا **الأطلس** إن شاء الله تعالى.

خـرج **مسلم بن عقيل** على **عبيد الله بن زياد** وحاصر قصره بأربعـة آلاف من مؤيديه، وذلك في الظهيرة. فقام فيهم عبيد الله ابـن زيـاد وخوفهـم بجيش الشـام، ورغبهـم ورهبهـم فصـاروا ينصرفـون عنـه حتى لم يبق معه إلا ثلاثون رجـلاً فقط. وما غابت الشمس إلا ومسلم بـن عقيل وحده ليس معه أحـد. **فقبض عليه وأمـر عبيـد الله بـن زيـاد بقتله** فطلـب منه مسلـم أن يرسل رسالـة إلى الحسين فـأذن له عبيد الله، وهذا نصـ رسالته : ارجع بأهلـك ولا يغرنّك أهل الكوفة فإن أهـل الكوفة قد كذبوك وكذبوني وليس لكاذب رأي.

بحر الملح

نهر دجلة

بغداد

المدائن

ساباط

اللطيفية

الإسكندرية

المسيب

كربلاء

نهر الفرات

بابل

الكفل

أرض السواد

الكوفة

النجف

القادسية

العذيب

٠ ١٠ ٢٠ كم

وصول ابن زياد إلى الكوفة قادماً من البصرة

لمـا وصل مسلـم إلى الكوفة تيقن أن النـاس يريدون الحسين ، فبايعـه الناس على بيعة الحسين وذلك فـي دار هانئ بن عروة ، ولمـا بلغ الأمـر **يزيد بن معاوية** في الشـام أرسل إلى عبيد الله ابن زياد والي البصرة ليعالج هذه القضية، ويمنع أهل الكوفة من الخـروج عليه مـع الحسين ولم يأمره بقتـل الحسين، فدخل عبيد الله بـن زياد إلى الكوفة، وأخـذ يتحرى الأمر ويسأل حتى علم أن دار هانئ بن عروة هي مقر مسلم بن عقيل وفيها تتم المبايعة.

وصول مسلم بن عقيل إلى الكوفة وغدر أهل الكوفة به

الكوفة، مدينة عراقية عريقة على مقربة من مدينة الحيرة المعروفة، بنيت بعد البصرة بعد الفتح الإسلامي للعراق عام ١٦ هـ/ ٦٣٧ م، ويرجع الفضل في بنائها للصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

وكان بداية بنائها عام ١٧ هـ/ ٦٣٨ م، بعد معركة القادسية زمن خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالقرب من مدينة الحيرة « حاضرة المناذرة ». وسكنها أربعون ألفاً من العرب في بيوت شيدت من الطوب اللبن، وبُني فيها **مسجد جامع** كان موقعه في وسط المدينة. وفي منتصف القرن الهجري الأول تمتعت الكوفة بالازدهار التجاري لموقعها الممتاز بين الهند والشام وإفريقيا وآسيا الصغرى والحجاز. وكانت المدينة هي المدينة التي اختارها علي بن أبي طالب رضي الله عنه لتكون مقراً لخلافته التي بدأت عام ٣٥ هـ/ ٦٥٦ م، وانتهت بعد خمسة أعوام بمقتله فيها. وقد ازدهرت الكوفة في أيام الحكم الأموي. وقد دمجت المدينتان عام ٦٩١م على أيام عبد الملك ابن مروان. وكانت تسمى قديماً بـ (كوفان).

ووقعت فيها حادثة مقتل مسلم بن عقيل و حادثة كربلاء بالقرب منها والجيش الذي خرج لقتال الحسين كان يتألف بشكل أساسي من أهاليها، كما وقعت فيها أيضاً ثورات العلويين في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة كثورة ابن طباطبا العلوي، وخروج أبي السرايا في زمن المأمون، وثورة القرامطة.

صحن جامع الكوفة القديم بعد ترميمه

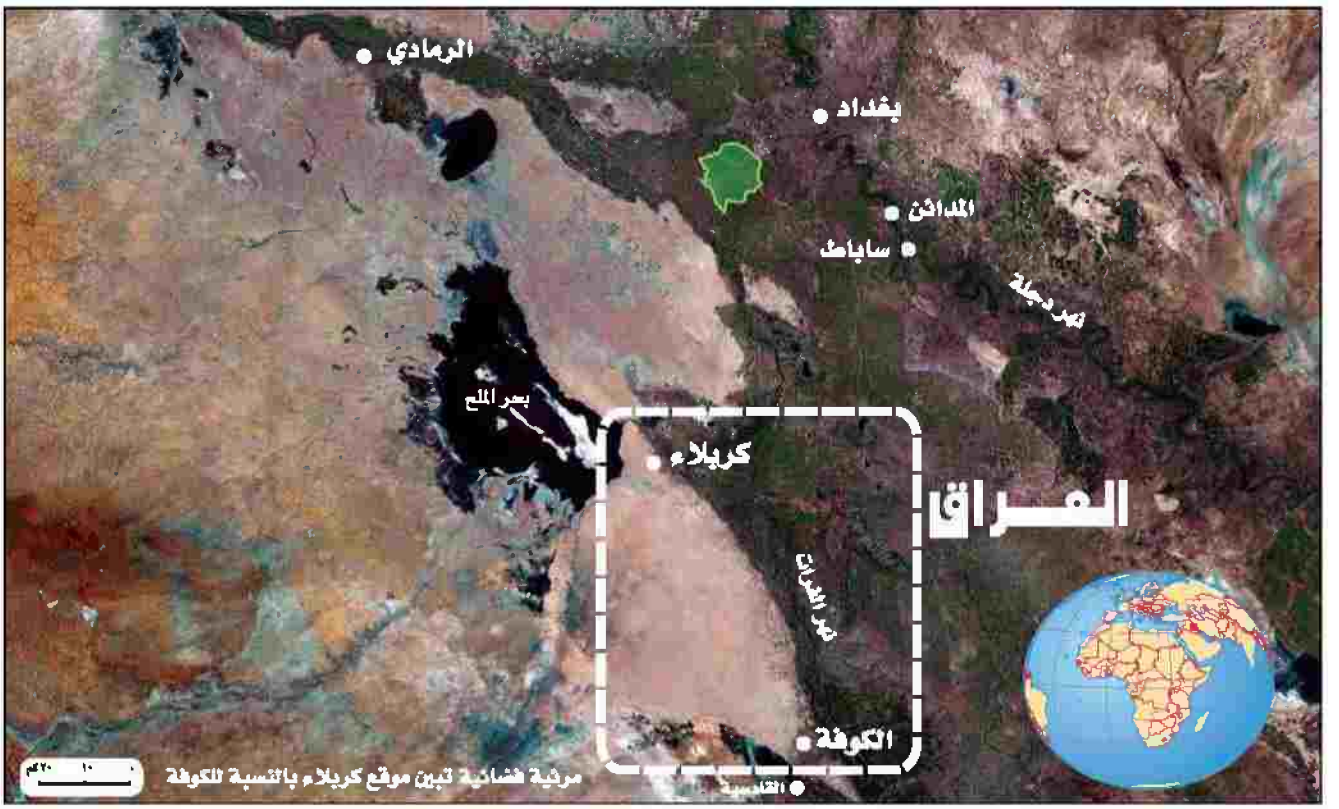

مرئية فضائية تبين موقع كربلاء بالنسبة للكوفة

مواصلة الحسين طريقه إلى كربلاء

على الرغم من أن مسلم بن عقيل استطاع أن يقنع محمد بن الأشعث بأن يرسل رسولاً يخبر الحسين بن علي بالتطورات السلبية وينصحه بالعودة إلى مكة. وفعلاً تلقى الحسين الرسالة في **زبالة** إلا أنه آثر متابعة طريقه، كما تلقى نصيحة أخرى في **شراف** من قبل أحد قادة عبيد الله بن زياد وهو الحر بن يزيد الرياحي. لذلك أخذ الحسين رضي الله عنه بعدم جدوى متابعة طريقه إلى الكوفة، فهمّ أن يرجع، لكن إخوة مسلم بن عقيل أبوا عليه ذلك حتى يصيبوا ثأرهم، فنزل على رأيهم، وتوجه لملاقاة جيش عبيد الله ابن زياد .

على اليمين صورة بقايا قصر زبالة الأثري وفي الصورة الثانية بركة زبالة الأثرية. م، ص ، صقر - مكشات

الحسين بن علي رضي الله عنهما يعطي الأذن لأصحابه بالانصراف:

لما بلغ **الحسين بن علي** رضي الله عنهما مقتل ابن عمه مسلم بن عقيل وتخاذل الناس عنه، أعلم الحسين من معه بذلك، وقال: من أحب أن ينصرف فلينصرف فتفرق الناس عنه يميناً وشمالاً ، وقال له بعض من ثبتوا معه: ننشدك الله إلا ما رجعت من مكانك، فإنه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة، بل نتخوف أن يكونوا عليك. فوثب بنو عقيل إخوة مسلم . وقالوا: والله لا نبرح حتى ندرك ثأرنا أو نذوق كما ذاق مسلم .

وصول الحسين بن علي رضي الله عنهما إلى كربلاء

جاء الحسين رضي الله عنه خبر استشهاد مسلم ابن عقيل عن طريق الذي أرسله مسلم، فانطلق الحسين يسير نحو طريق الشام نحو يزيد، فلقيته الخيول **بكربلاء** بقيادة عمر بن سعد، وشمر بن ذي الجوشن، وحصين بن تميم، فنزل يناشدهم الله والإسلام أن يختاروا **إحدى ثلاث :**

١ - أن يسيّروه إلى أمير المؤمنين (يزيد) فيضع يده في يده (لأنه يعلم أنه لا يحب قتله).

٢ - أو أن ينصرف من حيث جاء (إلى المدينة).

٣ - أو يلحق بثغر من ثغور المسلمين حتى يتوفاه الله.

(رواه ابن جرير من طريق حسن) . فقالوا: لا، إلا على حكم عبيد الله بن زياد. فلما سمع الحر بن يزيد ذلك (وهو أحد قادة ابن زياد) قال : ألا تقبلوا من هؤلاء ما يعرضون عليكم ؟والله لو سألكم هذا الترك والديلم ما حلَّ لكم أن تردوه. فأبوا إلا على حكم ابن زياد. فصرف الحر وجه فرسه، وانطلق إلى الحسين وأصحابه، فظنوا أنه إنما جاء ليقاتلهم، فلما دنا منهم قلب ترسه وسلّم عليهم، ثم كرّ على أصحاب ابن زياد فقاتلهم، فقتل منهم رجلين ثم قُتل رحمة الله عليه (ابن جرير بسند حسن).

استشهاد الحسين بن علي رضي الله عنهما وفاجعة الأمة

في صباح يوم الجمعة عام ٦١هـ نظم **الحسين** رضي الله عنه أصحابه وعزم على القتال وكان معه اثنان وثلاثون فارساً، وأربعون راجلاً، فجعل زهير بن القين في ميمنته وحبيب بن مظاهر في الميسرة، وأعطى رايته العباس بن علي، وجعل البيوت وراء ظهورهم، وأمر الحسين بحطب وقصب فجعله من وراء البيوت، وأشعل فيه النار مخافة أن يأتوهم من خلفهم. وأما **عمر بن سعد** فقد نظم جيشه، وجعل على الميمنة عمرو ابن الحجاج الزبيدي. بدلاً من الحر بن يزيد الذي انضم إلى الحسين. وجعل على الميسرة شمر بن ذي الجوشن. وعلى الخيل عزرة بن قيس الأحمسي، وعلى الرجال شبث بن ربعي الرياحي، وأعطى الراية ذويداً مولاه.

وبدأت المعركة سريعة وكانت مبارزة في بداية الأمر، وجوبه جيش عمر بن سعد بمقاومة شديدة من قبل أصحاب الحسين، حيث إن مقاتلتهم اتسمت بالفدائية فلم يعد لهم أمل في الحياة، وكان الحسين رضي الله عنه في البداية لم يشترك في القتال، وكان أصحابه يدافعون عنه ولما قتل أصحابه لم يجرؤ أحد على قتله، وكان جيش عمر بن سعد يتدافعون ويخشى كل فرد أن يبوء بقتله وتمنوا أن يستسلم، ولكن الحسين رضي الله عنه لم يبد شيئاً من الليونة، بل كان رضي الله عنه يقاتلهم بشجاعة نادرة، وبسالة قوية، عندئذ خشي شمر بن ذي الجوشن من انفلات زمام الأمور فصاح بالجند وأمرهم بقتله، فحملوا عليه، وضربه زرعة بن شريك التميمي ثم طعنه سنان بن أنس النخعي واحتز رأسه، ويقال: إن الذي قتله عمرو بن بطار التغلبي، وزيد ابن رقادة الحيني، ويقال: إن المتولي للإجهاز عليه شمر بن ذي الجوشن الضبي، وحمل رأسه إلى ابن زياد خولي ابن يزيد الأصبحي، وكان قتله رضي الله عنه في محرم في العاشر منه سنة ٦١ هـ. وقتل مع الحسين رضي الله عنه اثنان وسبعون رجلاً، وقتل من أصحاب عمر بن سعد ثمان وثمانون رجلاً، وبعد انتهاء المعركة أمر عمر بن سعد بأن لا يدخل أحد على نساء الحسين وصبيانه، وأن لا يتعرض لهم أحد بسوء، وأرسل عمر بن سعد برأس الحسين ونساءه ومن كان معه من الصبيان إلى ابن زياد[1].

وكان الذين قتلوا مع الحسين رضي الله عنه من آل أبي طالب، فمن أولاد علي بن أبي طالب الحسين نفسه، وجعفر والعباس وأبو بكر ومحمد وعثمان، ومن أولاد الحسين: علي الأكبر غير عليّ زين العابدين لأنه كان عنده علي الأصغر وعلي الأكبر وعبد الله. ومن أبناء أبناء الحسن قتل عبد الله والقاسم وأبو بكر. ومن أولاد عقيل قتل جعفر وعبد الله، وعبد الرحمن، ومسلم بن عقيل قتل بالكوفة، وعبد الله بن مسلم. ومن أولاد

---

١ - د. علي الصلابي، الدولة الأموية، ص ٤٧١ - ٤٧٢.

عبدالله بن جعفر: قتل عون ومحمد ، ثمانية عشر رجلاً كلهم من بيت رسول الله قد قتلوا في هذه المعركة غير المتكافئة، والعجيب في هذه أن ممن قتل بين يدي الحسين بن علي رضي الله عنهما أبو بكر بن علي وعثمان بن علي وأبو بكر بن الحسن ولا تجد لهم ذكراً عندما تسمع أشرطة الشيعة وتقرأ كتبهم التي ألفت في مقتل الحسين، حتى لا يقال إن علي بن أبي طالب سمَّى أولاده بأسماء أبي بكر وعمر وعثمان، أو أن الحسن سمى على اسم أبي بكر وهذا أمر عجيب جداً منهم[١].

وعن أنس قال: ولما أتي عبيد الله بن زياد برأس الحسين جعل ينكث بالقضيب ثناياه يقول: لقد كان أحسبه جميلاً. فقلت: والله لأسوءنّك إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلثم حيث يقع قضيبك. قال: فانقبض. وفي رواية البخاري عن أنس قال: أتى عبيد الله بن زياد برأس الحسين فجعله في طست، فجعل ينكث عليه وقال في حسنه شيئاً فقال أنس: إنه كان أشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان مخضوباً بالوسمة. ولما وصل نساء الحسين وصبيانه صنع بهم ابن زياد أن أمر لهم بمنزل في مكان معتزل فأجرى عليهم الرزق، وأمر لهن بالكسوة والنفقة. وتذكر بعض الروايات التي لها ميول شيعية أن ابن زياد أمر بقتل كل من أنبت، ولعل مما يظهر كذب هذه الروايات حينما تذكر أن علي بن الحسين كشفوا عنه فوجوده قد أنبت، فأمر ابن زياد بقتله ولكن شفاعة أخته زينب وتعلقها به حالت دون قتله، وليس هذا صحيحاً، كذلك أن ابن زياد قد أساء معاملة نساء الحسين بعد قتله، أو في ترحيله لهن إلى الشام، فالروايات التاريخية تخبرنا أن أحسن شيء صنعه ابن زياد أنه أمر لهن بمنزل في مكان معتزل، وأجرى عليهن رزقاً، وأمر لهن بنفقة وكسوة ،[٢].

يقول ابن تيمية في رده على بعض مزوري التاريخ من أهل الأهواء والباطل: وأما ما ذكره من سبي نسائه والدوران بهن على البلدان وحملهن على الجمال بغير أقتاب، فهذا كذب، وباطل، وماسبى المسلمون - ولله الحمد - هاشمية قط، ولا استحلت أمة محمد صلى الله عليه وسلم هاشمية قط، ولكن أهل الهوى والجهل يكذبون كثيراً [٣].

١ - د. علي الصلابي، الدولة الأموية، ص ٤٧٢ .

٢ - د. علي الصلابي، الدولة الأموية، ص ٤٧٢ - ٤٧٣ .

٣ - منهاج السنة (٢٤٩/٢).

موقف يزيد من مقتل الحسين وذريته

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " إن يزيد بن معاوية لم يأمر بقتل الحسين باتفاق أهل النقل ، ولكن كتب إلى ابن زياد أن يمنعه عن ولاية العراق، ولما بلغ يزيد قتل الحسين أظهر التوجع على ذلك، وظهر البكاء في داره ولم يسب لهم حريماً بل أكرم بيته وأجازهم حتى ردهم إلى بلادهم، وأما الروايات التي تقول إنه أهين نساء آل بيت رسول الله، وأنهن أخذن إلى الشام مسبيات وأهنّ هناك فهذا كلام باطل ... ولم تسب هاشمية قط." وقال ابن كثير في تاريخه: (والذي يكاد يغلب على الظن أن يزيد لو قدر عليه قبل أن يُقتل لعفا عنه كما أوصاه بذلك أبوه، وكما صرح هو به مخبراً عن نفسه بذلك).

يذكر المؤرخ الشيعي اليعقوبي في تاريخه أنه: « لما دخل علي بن الحسين الكوفة رأى نساءها يبكين ويصرخن فقال : " هؤلاء يبكين علينا فمن قتلنا ؟ " أي من قتلنا غيرهم » . تاريخ اليعقوبي ٢٣٥:١ .

تذكر رواية عوانة بن الحكم أن محفز بن ثعلبة هو الذي قدم بأبناء الحسين على يزيد، ولما دخل أبناء الحسين على يزيد قالت: فاطمة بنت الحسين: يا يزيد: أبنات رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا قال: بل حرائر كرام: أدخلي على بنات عمك تجديهن قد فعلن ما فعلت. قالت فاطمة: فدخلت إليهن فما وجدت فيهن سفيانية إلا ملتزمة تبكي . تاريخ الطبري (٣٩٤/٦)

أمر يزيد بأن يرافق ذرية الحسين وفد من موالي بني سفيان ، وكان عددهم ثلاثين فارساً ، وأمر المصاحبين لهم أن ينزلوا حيث شاءوا ومتى شاءوا وبعث معهم أيضاً محرز بن حريث الكلبي ورجلاً من بهراء، وكانا من أفاضل أهل الشام وخرج آل الحسين من دمشق محفوفين بأسباب الاحترام والتقدير حتى وصلوا إلى المدينة . قال ابن كثير في يزيد: وأكرم آل بيت الحسين ورد عليهم جميع ما فقد لهم وأضعفه، وردهم إلى المدينة في محامل وأبهة عظيمة، وقد ناح أهله على الحسين .

عودة بيت الحسين بن علي رضي الله عنهم إلى المدينة

مشهد الحسين بن علي رضي الله عنه في كربلاء

قال الطبري: (وفيها) أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن علي، وهدم ما حوله من المنازل والدور، وأن يُحرث، ويُبذر، ويُسقى موضع قبره، وأن يُمنع الناس من إتيانه، فذكر أن عامل صاحب الشرطة نادى في الناحية: (من وجدناه عند قبره بعد ثلاثة بعثنا به إلى المطبق)، فهرب الناس، وامتنعوا من المسير إليه، وحُرث ذلك الموضع، وزُرع ما حواليه. (تاريخ الطبري ٣٦٥/٧).

اختلف الناس في قبر الحسين رضي الله عنه ، فقيل : إنه دفن في الشام ، وقيل : في العراق ، والله أعلم بالواقع . أما رأسه فاختلف فيه ؛ فقيل : في الشام ، وقيل في العراق ، وقيل : في مصر ، والصواب أن الذي في مصر ليس قبراً له ، بل هو غلط وليس به رأس الحسين ، وقد ألف في ذلك بعض أهل العلم ، وبينوا أنه لا أصل لوجود رأسه في مصر ولا وجه لذلك ، وإنما الأغلب أنه في الشام ؛ لأنه نقل إلى يزيد بن معاوية وهو في الشام، فلا وجه للقول بأنه نقل إلى مصر، فهو إما حفظ في الشام في مخازن الشام، وإما أعيد إلى جسده في العراق .

وبكل حال فليس للناس حاجة في أن يعرفوا أين دفن؟ وأين كان؟ . **وإنما المشروع الدعاء له بالمغفرة والرحمة** . غفر الله له ورضي عنه . فقد **قتل مظلوماً** فيدعى له بالمغفرة والرحمة ، ويرجى له خير كثير ، **وهو وأخوه الحسن سيدا شباب أهل الجنة** ، كما قال ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، رضي الله عنهما وأرضاهما ، ومن عرف قبره وسلم عليه ودعا له فلا بأس، كما تزار القبور الأخرى ، من غير غلو فيه ولا عبادة له ، ولا يجوز أن تطلب منه الشفاعة ولا غيرها كسائر الأموات ؛ لأن الميت لا يطلب منه شيء وإنما يدعى له ويترحم عليه إذا كان مسلماً، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : (زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة) . فمن زار قبر الحسين أو الحسن أو غيرهما من المسلمين للدعاء لهم والترحم عليهم والاستغفار لهم كما يفعل مع بقية قبور المسلمين – فهذا سنة ، أما زيارة القبور لدعاء أهلها أو الاستعانة بهم أو طلبهم الشفاعة – فهذا من المنكرات ، بل من الشرك الأكبر . **ولا يجوز أن يبنى عليها مسجد ولا قبة ولا غير ذلك**؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) متفق على صحته ، ولما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم : (أنه نهى عن تجصيص القبور وعن القعود عليها وعن البناء عليها) ، فلا يجوز أن يجصص القبر أو يطيب أو توضع عليه الستور أو يبنى عليه، فكل هذا ممنوع ومن وسائل الشرك ، ولا يصلى عنده لقول النبي عليه الصلاة والسلام : (ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك) أخرجه مسلم في صحيحه عن جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه .

وهذا الحديث يدل على أنه لا تجوز الصلاة عند القبور ولا اتخاذها مساجد؛ ولأن ذلك وسيلة للشرك وأن يعبدوا من دون الله بدعائهم والاستغاثة بهم والنذر لهم والتمسح بقبورهم طلبا لبركتهم ، فلهذا حذر النبي عليه الصلاة والسلام من ذلك ، وإنما تزار القبور زيارة شرعية فقط ، للسلام عليهم والدعاء لهم والترحم عليهم **من دون شد رحل لذلك** . والله هو الموفق والهادي إلى سواء السبيل . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ **عبد العزيز بن باز** – رحمه الله – ٣٦٦/٦ .

ثانياً : وقعة الحرَّة سنة ٦٣ هـ

حدثت سنة (٦٣ هـ= ٦٨٢ م)، بين جيش يزيد بن معاوية وأهل المدينة. **وسببها** أن أهل المدينة النبوية لما خلعوا يزيد بن معاوية وولوا على قريش عبد الله بن مطيع، وعلى الأنصار عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر وسجنوا من بالمدينة من بني أمية وطردوا عامل يزيد - بعث إليهم يزيد ليعودوا إلى الطاعة دون قتال، فامتنعوا؛ فأرسل إليهم جيشاً عدته (١٢) ألف مقاتل بقيادة مسلم بن عقبة المُرِّي، وقال له يزيد: ادعهم إلى البيعة ثلاثة أيام دون حرب، ولاتقاتلهم إلا بعد انتهاء المدة. ففعل مسلم، ولكن أهل المدينة امتنعوا عن البيعة؛ فحاصر مسلم المدينة من ناحية الحرَّة ولما فتحها دعا الناجين إلى بيعة يزيد، فبايع الناس ومن أبى قتل.

وصية يزيد بن معاوية لمسلم بن عقبة المُرِّي :

قال يزيد: « ادع القوم ثلاثاً، فإن رجعوا إلى الطاعة، فاقبل وكف عنهم، وإلا فاستعن بالله وقاتلهم، ... ثم أكفف عن الناس، وانظر إلى **علي ابن الحسين** فاكفف عنه، واستوصي به خيراً، وأدن مجلسه فإنه لم يدخل في شيء مما دخلوا فيه » وأمر مسلماً إذا فرغ من المدينة أن يذهب لحصار ابن الزبير، وقال له إن حدث بك أمر فعلى الناس حصين بن نمير السكوني .

حرة واقم (الحرَّة الشرقية) بالمدينة النبوية.

حَرَّةُ واقِم

حَرَّةُ واقِم: إحدى حرَّتي المدينة، وهي الشرقية، سميت برجل من العمالق اسمه واقم، وكان قد نزلها في الدهر الأول، وقيل: واقم اسم أُطُم من آطام المدينة إليه تضاف الحرة، وهو من قولهم: وَقَمْتُ الرجل عن حاجته إذا رددته، فأنا واقِمٌ؛ وقال المزّار:

بحرَّة وا قم، والعيسُ صُفّر ... ترى لِلُحَى جماجمها قيما

وفي هذه الحرَّة كانت وقعة الحرَّة المشهورة في أيام يزيد بن معاوية في سنة ٦٣ وأمير الجيش من قبل يزيد مسلم بن عقبة المُرِّي، وسموه لقبيح صنيعه مسرفاً. قدم المدينة فنزل حرَّة واقم وخرج إليه أهل المدينة يحاربونه، فكسرهم وقتل من الموالي ثلاثة آلاف وخمسمائة رجل ومن الأنصار ألفاً وأربعمائة، وقيل ألفاً وسبعمائة، ومن قريش ألفاً وثلاثمائة، ودخل جنده المدينة فنهبوا الأموال ... ثم أحضَرَ الأعيان لمبايعة يزيد بن معاوية فلم يرضَ إلا أن يبايعوه على أنهم عبيد يزيد بن معاوية، فمن تلكأ أمر بضرب عنقه، وجاؤوا بعليّ بن عبد الله بن العباس، فقال الحصين بن نمير: يا معاشر اليمن عليكم ابن أختكم، فقام معه أربعة آلاف رجل، فقال لهم مسرف: أخلعتم أيديكم من الطاعة؟ فقالوا: أما فيه فنعم، فبايعه عليٌّ على أنه ابن عمّ يزيد بن معاوية، ثم انصرف نحو مكة وهو مريض مُدنف فمات بعد أيام وأوصى إلى الحصين بن نمير، وفي قصة الحرة طول، وكانت بعد قتل الحسين، رضي الله عنه، ورمي الكعبة بالمنجنيق من أشنع شيء جرى في أيام يزيد؛ وقال محمد بن بحرة الساعدي:

فإن تقتلونا يوم حرَّة واقم ... فنحن على الإسلام أول من قَتَلْ

ونحن تركناكم ببدر أذلَّةً ... وأبْنا بأسياف لنا منكم نَفَلْ

فإن ينج منكم عائذُ البيت سالماً ... فما نالنا منكم، وإن شفّنا، جَلَلْ ... .

الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٤٩ .

معركة الحرَّة سنة ٦٣ هـ

كردستان
أنطاكية
حلب
قنسرين
حمص
طرابلس
بحر الروم
دمشق
صور
بلاد الشام
الفرات
البوكمال
دجلة
بغداد
فلسطين
يافا
الأردن
بئر السبع
الكوفة
المعارة
العراق
البصرة
وادي السرحان
معان
إيلة
دومة الجندل
تبوك
ضباء
تيماء
وادي القرى
الملا
وادي الحمض
بحر القلزم (البحر الأحمر)
ينبع
المدينة النبوية
الحجاز
جدة
مكة المكرمة
٠ ١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠ ٤٠٠كم

- قواعد انطلاق للجيش الأموي
- تحرك ألوية الجيش الأموي
- القيادة العامة للجيش الأموي
- لقاء الجيش الشامي بالمبعدين من بني أمية عن المدينة .

١ – والي (عامل) المدينة الجديد عثمان بن محمد بن أبي سفيان؛ يرسل وفداً من أهل المدينة إلى دمشق لإثبات ولائهم ليزيد برئاسة عبد الله بن حنظلة الغسيل، وقد استقبلهم يزيد استقبالاً لائقاً .

٢ – رجوع الوفد إلى المدينة وهو غير راض عن يزيد وسياسته، مما حدا بأهل المدينة إخراج عامل يزيد عثمان ومن ثم تطلعهم إلى مبايعة عبد الله بن الزبير.

٣ – على الرغم من أخطاء يزيد الجسيمة إلا أن علماء المدينة اعترضوا على الخروج عليه لأمرين:

أ - أن ذلك نقضاً للبيعة فمن ثابت عن أنس ـ عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «لكل غادرٍ لواءٌ يومَ القيامة، .قال أحدُهما يُنصَبُ وقال الآخر: يُرَى ـ يومَ القيامةِ يُعرَفُ به» صحيح البخاري، أما خروج الحسين رضي الله عنه على يزيد؛ لأن الحسين لم يبايع يزيد بن معاوية في الأصل .

ب - تعظيم حرمة دماء المسلمين وحرمة الاقتتال بينهم، ويزداد ذلك حينما يكون الاقتتال في المدينتين المقدستين (مكة والمدينة) .

٤ – علم يزيد بمحاصرة أهل المدينة لبني أمية في دار مروان بن الحكم، بل وقيام مجموعة كبيرة من أهل المدينة بخلع البيعة عنه ومبايعة عبد الله بن حنظلة الغسيل، فقام بإرسال النعمان بن بشير الأنصاري إلى المدينة ليدعو الناس إلى العودة إلى حظيرة الدولة، ولزوم الجماعة، إلا أنه فشل في ذلك .

٥ – قرر يزيد إرسال جيشاً بقيادة مسلم بن عقبة المري الغطفاني لتأديب الخارجين على بيعته من أهل المدينة، حيث جعل مسلم على أهل دمشق عبد الله بن مسعدة الفزاري، وعلى أهل حمص حصين بن نمير السكوني، وعلى أهل الأردن حبيش بن دلجة القيني، وعلى أهل فلسطين روح بن زنباع الجذامي، وشريك الكناني، وعلى أهل قنسرين طريف بن الحسحاس الهلالي، وسار مسلم إلى المدينة فوجد بني أمية وقد أخرجوا منها، وساروا في اتجاه الشام، فاستوقفهم وسألهم عن الوضع في المدينة، فلم يتطلقوا بجواب، وكان أهل المدينة، قد أطلقوا حصارهم بعد أن أخذوا عليهم العهود والمواثيق ألاّ يدلوا على عورة ولا يعاونوا عدواً، وطلب مسلم منهم أن يدلوه على ما وراءهم فلم يستجيبوا، فغضب مسلم منهم غضباً شديداً، فلم يبرد غضبه إلا عبد الملك بن مروان الذي دلّه على الخطة التي يجب اتباعها في حرب المدينة، فأشار إليه بأن يأتيها من جهتها الشرقية، ويلحق في الجنوب منها، يواجه أهل المدينة، في مكان يسمى الحرَّة، وتأتي الشمس أمام جيش الشام فتلمع خوذهم وسلاحهم فيرهبون عدوهم، ويكون لهم السيطرة من الوجهة الحربية .

وصل مسلم بن عقبة إلى المدينة في شهر ذي الحجة سنة ٦٣ هـ وضرب عليها حصاراً من جهة الحرَّة، وأنذر أهلها ثلاثاً، لكنهم لم يستجيبوا، وقاوموه مقاومة ضارية، ثم استعملت الحيلة بدخولها من ناحية الطورين، ودار القتال بين الطرفين انهزم بنتيجته أهل المدينة وقتل عدد كبير منهم.

ثالثاً: حركة عبد الله بن الزبير سنة ٦٤ هـ وإعلان الخلافة

تعتبر حركة ابن الزبير امتداداً لخروج أهل المدينة. حيث رأى ابن الزبير حادثة كربلاء، وخروج أهل المدينة، والفراغ السياسي والقيادي الذي حصل بعد وفاة معاوية، والنقمة الشديدة على يزيد في العالم الإسلامي، ليقود حركة مسلحة ضد بني أمية منطلقاً من مكة ليعيد الخلافة إلى منبتها الأول في الحجاز .

ودعا أعيان أهل تهامة والحجاز إلى بيعته، فبايعوه جميعاً باستثناء عبد الله بن عباس، ومحمد ابن الحنفية، ثم طرد عمال يزيد من مكة والمدينة.

حاول يزيد في غمرة هذه الأحداث ، التفاهم مع ابن الزبير ، فعرض عليه " ولاية الحجاز وماشاء وما أحب لأهل بيته من الولاية، على أن يبايعه بالخلافة. لكن ابن الزبير رفض العرض " .

عندئذ أصدر يزيد أمراً إلى مسلم بن عقبة بالتوجه إلى مكة للقضاء على حركته. وفعلاً توجه هذا القائد إلى مكة، وماكاد يصل إلى **المشلل** حتى مرض وتوفي بعد أن عهد إلى الحصين بن نمير بقيادة الجيش .

استأنف الحصين الزحف نحو مكة فوصلها في السادس والعشرين من شهر محرم سنة ٦٤ هـ وضرب عليها حصاراً مركزاً بعد أن سيطر على جميع التلال والجبال المحيطة بها، ثم أخذ يضربها بالمنجنيق، وتولى الدفاع عن البيت الحرام جماعة من الخوارج النجدية .

كانت المقاومة عنيفة بفعل خضوع المكيين لقائد واحد هو عبد الله بن الزبير، وانضمام خصوم الدولة الأموية إليه، كالخوارج؛ فضلاً عن الزعيم الشيعي المختار بن أبي عبيد الثقفي. وبينما رحى الحرب دائرة **أتى نعي يزيد** فتوقف القتال. وأدرك الحصين، وهو أحد كبار القادة العسكريين في الدولة الأموية، أن ورقة ابن الزبير ستكون الرابحة بعد غموض الموقف في دمشق. فرأى أن يأخذ البيعة له شرط أن ينتقل معه إلى دمشق، فقابله وعرض عليه البيعة على شرطه. رفض ابن الزبير هذا العرض، مفوتاً فرصة ذهبية. وذهل الحصين من موقفه هذا وأشار بشيء من السخرية متهماً إياه بقصر النظر السياسي[١].

ويبدو أن ابن الزبير أدرك أن أهل الشام مخلصون لبني أمية، كما أن الحصين ليس بالقادر على التكلم بلسانهم جميعاً، ولذا لم يكن بوسعه الاطمئنان إلى وعوده. يضاف إلى ذلك أنه كان يرى في أهل الحجاز أنصاره وأعوانه، لذلك كان رفضه عن اقتناع منه حتى لا يصيبه ما أصاب الحسين من قبل. ثم حدث بعد ذلك أن رفع الحصين الحصار عن مكة وعاد إلى دمشق. ثم أعلنت خلافة معاوية الثاني بن يزيد في غضون ذلك في دمشق بينما أعلن ابن الزبير نفسه خليفة في المدينة[٢] .

---

١ - د. محمد طقوش، تاريخ الدولة الأموية، ص ٥٦ - ٥٨ .

٢ - د. محمد طقوش، المرجع نفسه، ص ٥٨ .

حصار ابن الزبير وضرب الكعبة بالمنجنيق

هلك مسلم بن عقبة المري في طريقه لابن الزبير وتولى القيادة من بعده الحصين بن نمير السكوني ووصل إلى مكة قبل انقضاء شهر محرم بأربع ليالي. وعسكر الحصين بن نمير بالحجون إلى بئر ميمون ، وبذلك فقد عمل الحصين بن نمير على نشر جيشه على مسافة واسعة والذي دفعه إلى ذلك طبيعة الحرب التي ستدور في مكة، وقام ابن الزبير يحث الناس على قتال جيش أهل الشام وانضم المنهزمون من معركة الحرّة إلى ابن الزبير، وقدم على ابن الزبير أيضاً نجدة بن عامر الحنفي في ناس من الخوارج، وذلك لمنع البيت من أهل الشام ، وكان عدد المقاتلين الذين اشتركوا مع ابن الزبير أقل بكثير من المقاتلين الذين اشتركوا في معركة الحرّة، ولم تكن القوات متكافئة وتحول الوضع لصالح الحصين بن نمير، بعد أن مني ابن الزبير بفقد خيرة أصحابه، مثل أخويه المنذر وأبي بكر ابني الزبير، ومصعب بن عبد الرحمن، وحذافة بن عبد الرحمن بن العوام، وعمرو بن عروة بن الزبير ، وبعد ثلاثة أيام من ربيع الأول سنة ٦٤هـ قام الحصين بن نمير **بنصب المنجنيق على جبل أبي قبيس** ، وجبل قعيقعان وفقد ابن الزبير أهم مستشاريه ومناصريه، وهو المسور بن مخرمة بعد أن أصابه بعض أحجار المنجنيق، وانكشفت مواقع ابن الزبير أمام الحصين بن نمير، ولم يبق مأمن لابن الزبير من أحجار المنجنيق سوى الحجر، **وحوصر ابن الزبير حصاراً شديداً** ولم يعد يملك إلا المسجد الحرام فقط بعد أن فقد مواقعه المتقدمة في الأبطح، وفي أثناء احتدام المعارك بين ابن الزبير والحصين بن نمير **احترقت الكعبة** وهذه مصيبة أضيفت إلى مصائب المسلمين التي نتجت عن استحلال القتال في البلد الحرام الذي حرم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم القتال فيه، وكان يزيد بن معاوية قد مات في منتصف شهر ربيع الأول، ولم يعلم أحد بموته نظراً لبعد المسافة بين مكة ودمشق، وقد جاء الخبر بموت يزيد إلى مكة لهلال شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين. ولم تكن الكعبة مقصودة في ذاتها بالإحراق والدليل على ذلك ما أحدثه حريق الكعبة من ذهول وخوف من الله في كلا الطائفتين جيش الحصين بن نمير، وجيش ابن الزبير وقال ابن حجر: ثم سارت الجيوش إلى مكة لقتال ابن الزبير، فحاصروه بمكة وأحرقت الكعبة. ولا شك أن أحداً من أهل الشام لم يقصد إهانة الكعبة، بل كل المسلمين معظمين لها، وإنما كان مقصودهم حصار ابن الزبير، والضرب بالمنجنيق كان لابن الزبير لا للكعبة، ويزيد لم يهدم الكعبة، ولم يقصد إحراقها لا هو، ولا نوابه باتفاق المسلمين . وهكذا كانت إحدى نتائج تلك الحرب التي دارت بين ابن الزبير والحصين بن نمير إحراق البيت الحرام. ولما وصل الحصين خبر موت الخليفة بعث إلى ابن الزبير فقال: موعد ما بيننا الليلة الأبطح.... د . الصلابي، الدولة الأموية ص ٥٤٠ - ٥٤١ .

لتفنيد الطبري لحريق الكعبة:

الرواية الأولى :

عن الواقدي وفيها (كانوا – أصحاب ابن الزبير– يوقدون حول الكعبة فأقبلت شرارة هبت بها الريح فاحترقت ثياب الكعبة واحترق خشب البيت) .

الرواية الثانية :

عن عروة بن أذينة ويقول فيها : " قدمت مكة مع أمي يوم احترقت الكعبة وقد خلصت إليها النار ورأيتها مجردة من الحرير ورأيت الركن وقد اسودّ وانصدع في ثلاثة أمكنة. فقلت : ما أصاب الكعبة ؟ فأشار إلى رجل من أصحاب ابن الزبير قالوا : هذا احترقت بسببه، أخذ قبساً في رأس رمح له فطيرت الريح به فضربت أستار الكعبة ما بين الركن والحجر.

الرواية الثالثة :

عن عوانة بن الحكم قال : حتى إذا مضت ثلاثة أيام من شهر ربيع الأول يوم السبت سنة ٦٦ هـ قذفوا البيت بالمجانيق وحرقوه بالنار .

ونخلص من هذه الروايات بأن اتهام الجيش الأموي بإحراق الكعبة اتهام لا يستند إلى براهين قاطعة لا تقبل الشك مثله مثل اتهامهم بإباحة المدينة ثلاثة أيام يقتلون الرجال وينهبون المال وينتهكون الأعراض وهذه مغالطات عظيمة .

سياسة يزيد الخارجية [١]

كان يزيد بن معاوية على علاقة طيبة **بعقبة بن نافع**، فعينه والياً على إفريقيا وعزل **أبا المهاجر دينار** عنها، وقد تم ذلك في عام ٦٢ هـ / ٦٨٣ م، وبتعيين عقبة بدأت **المرحلة الرابعة** من مراحل فتوح شمالي إفريقيا .

كان عقبة تواقاً إلى استئناف حركة الجهاد، لكن الظروف السياسية المحلية كانت قد تغيرت في أثناء فترة عزله. فالبيزنطيون توصلوا إلى نوع من التفاهم مع بعض القبائل البربرية الذين وجدوا في عقبة الشخصية الأكثر خطورة وتناقضاً مع نظامهم التقليدي؛ بالإضافة إلى تهديد مصالحهم الاقتصادية والسياسية .

وقرّر عقبة التوسع غرباً فانطلق من القيروان غازياً على رأس جيش كبير، ومعه جموع من بربر أوروبة بزعامة **كسيلة**، ويرافقه أبو المهاجر ... ، حتى نزل مدينة **بجاية** واشتبك مع البيزنطيين الذين تراجعوا إلى داخل المدينة واحتموا بها. لكنه لم ير تضييع الوقت في الاستيلاء عليها، ويبدو أنه لم يكن يطمع في السيطرة على القلاع بقدر ما كان يهدف إلى امتلاك زمام الأمور في الداخل مما يعطيه فرصاً أفضل لطرد البيزنطيين من شمالي إفريقيا. فترك الحصار واتجه غرباً إلى إقليم الزاب الخصيب في المغرب الأوسط فاجتاحه وسيطر على عاصمته **المسيلة**.

نتيجة لهذا التوسع، أضحت هذه الناحية مركزاً ثابتاً للمسلمين، بعد سهل إفريقيا الشمالي الذي تقوم فيه القيروان. وتعد سيطرة المسلمين على هذا الإقليم نقطة تحول حاسمة في حركة الفتوح في شمالي إفريقيا، لأنهم دخلوا إقليماً بربرياً من أقاليم الداخل، وهيمنوا على منازل قبائل بربرية أشهرها لواته وهوارة.

استأنف عقبة زحفه باتجاه **تاهرت**، وتصدى لتحالف « بيزنطي – بربري » فيها، وانتصر عليه وامتلك المدينة، ثم انطلق إلى المغرب الأقصى، فأخضع قبائله وامتلك **طنجة** عاصمة المغرب الأقصى. وعند هذا الحد من التقدم، عاد عقبة أدراجه باتجاه **القيروان** تاركاً نفوذاً للبيزنطيين ما يزال قائماً، وموقفاً غير واضح للقبائل البربرية. وكان الحلفاء في غضون ذلك، يتعقبونه لاقتناص فرصة سانحة للانقضاض عليه، وجاءت هذه الفرصة من قبله، دون أن **يشعر، نتيجة حادثين:**

الأول : أنه أساء معاملة حلفائه من البربر، كسيلة وجماعته، مما دفعهم إلى الفرار من معسكره وانضمامهم إلى أعدائه.

الثاني: أنه حدث في أثناء عودته إلى القيروان أن سمح لأكثر فرق جيشه، بالانفصال عن جسم الجيش والعودة سريعاً إلى القيروان، واستبقى معه خمسة آلاف مقاتل سار بهم إلى مدينة **تهودة** ليفتحها، متخلياً عما تحلى به من الحذر .

وما كاد عقبة يقترب من تهودة حتى ألفى نفسه مطوقاً من حشود بربرية وبيزنطية هائلة بزعامة كسيلة فخاض معركة « **تهودة** » غير متكافئة انتهت باستشهاده مع عدد كبير من قواته في أواخر سنة ٦٤ هـ وأوائل عام ٦٥ هـ / ٦٨٣ – ٦٨٤ م .

والواقع أن معركة تهودة كانت كارثة على المسلمين فبالإضافة إلى استشهاد القادة، انتاب الجنود المسلمين في القيروان حالة نفسية، تركوا على إثرها المدينة ودخلها كسيلة . وباستشهاد عقبة ، **تنتهي المرحلة الرابعة** من مراحل فتوح شمالي إفريقيا .

---

١ – د . محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الأموية، ص ٥٦ – ٥٨ .

فتوحات عقبة بن نافع الكبرى ٦٢ - ٦٤ هـ

تذكر بعض الروايات أن **قيس بن زهير البلوي** كان على القيروان حينما تنامى على مسامعه ماحدث في تهودة للمسلمين، فأراد أن ينازل كسيلة وجيشه ؛ لكن قواته لم تطعه فاضطر إلى مبارحة القيروان والمسير إلى برقة والمقام فيها . الخضري، تاريخ الأمم الإسلامية، ص ٢٢٥ .

قام عقبة في جيشه خطيباً بارعاً بعبارات فائقة تلخص رسالة المجاهد في سبيل الله فقال: "أيها الناس إن أشرفكم وخياركم الذين رضي الله تعالى عنهم وأنزل فيهم كتابه، بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان على قتال من كفر بالله إلى يوم القيامة، وهم أشرفكم والسابقون منكم إلى البيعة، ياأمة أنفسهم من رب العالمين بجنته بيعة رابحة، وأنتم اليوم في دار غربة وإنما بايعتم رب العالمين، وقد نظر إليكم في مكانكم هذا، ولم تبلغوا هذه البلاد إلا طلباً لرضاه وإعزازاً لدينه، فأبشروا فكلما كثر العدو كان أخزى لهم وأذل إن شاء الله تعالى، وربكم لا يسلمكم فالقوهم بقلوب صادقة، فإن الله عز وجل قد جعل يأسه على القوم المجرمين".

ويهذه الكلمات الموجزة استثار عقبة حمية رجاله، وأعطى درساً بليغاً للأجيال من بعده عن حقيقة دعوة المجاهد .

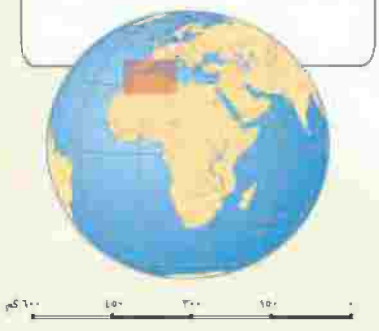

١ خروج عقبة بن نافع في ولايته الثانية على المغرب بجيشه من القيروان إلى بجاية .

٢ ٣ استطاع عقبة الانتصار على جيشي الروم والبربر، وتقدمت قواته صوب المسيلة ثم تاهرت في منطقة المغرب الأوسط .

٤ وصول قوات عقبة إلى طنجة في المغرب الأقصى.

٥ توجه عقبة بن نافع كالإعصار القوي، واختراقه البلاد كلها هازماً القبائل الوثنية التي وقفت في طريق دعوته إلى الله تعالى، حتى وصل بخيله إلى **المحيط الأطلسي** فاخترق عقبة بفرسه ماء المحيط ثم قال بقلب المؤمن الصادق الغيور الذي بذل واستفرغ كل جهده وحياته لخدمة الإسلام: "يا رب لولا هذا البحر لمضيت في البلاد مجاهداً في سبيلك، اللهم اشهد أني قد بلغت المجهود، ولولا هذا البحر لمضيت في البلاد أقاتل من كفر بك حتى لا يعبد أحد دونك".

٦ حقق عقبة غايته من حركة الفتح الإسلامي بالشمال الإفريقي، فلقد أخضع قبائل البربر وأوقع بها بأساً شديداً، حتى وصل إلى أقصى بلاد المغرب واقتحم المحيط بفرسه، وبعدها **قرر عقبة العودة إلى القيروان**، فلما وصل إلى طنجة أذن لمن معه من الصحابة أن يتفرقوا ويقدموا القيروان أفواجاً ثقة منه بما نال من عدوه، ومال عقبة مع ثلاثمائة من أصحابه إلى مدينة **تهودة**، فلما رآه كسيلة استغل قلة جند عقبة واتفق مع الروم على الغدر بجيش المسلمين وكان أبو المهاجر في ركب عقبة، واستشهد عقبة وأبي المهاجر والكثير من معه في أرض الزاب بتهودة وذلك سنة ٦٤ هجرية .

تشتهر بجاية بمزارع النخيل أسوة بمعظم بلاد المغرب العربي

ميناء بجاية

بِجايـة : قاعدة الغرب الأوسط، مدينة عظيمة على ضفة البحر يضـرب سورها، وهي على جرف حجر ولها من جهة الشمال جبل يسمـى امسيول، وهو جبل سـام صعب المرتقى، وفي أكنافه جمل مـن النبـات المنتفـع بـه فـي صناعـة الطـب مثـل البرباريـس والقنطوريـون والراونـد والاسفيوس وغير ذلك مـن الحشائش، وفي هذا الجبل عقارب صفر الألوان قليلة الضرر، وهي عين بلاد بني حماد والسفن إليهـا متكررة، والسفر إليها براً وبحراً والسلع إليها مجلوبـة وأهلها تجار مياسير، ولها بـواد ومزارع، والحنطة والشعـير بها واللبن كثير وسائـر الفواكه، وبها دار صناعة لإنشاء الأساطيل لأن الخشب في أوديتها وجبالها كثير، ويجلب إليها من أقاليمهـا الزيت الطيـب والقطران، وبها معـادن الحديد الطيب وبها من الصناعات كل غريبة، وعلى نحو ميل منها نهر يأتي إليها مـن جهة المغـرب وهو نهر عظيـم يجاز عند فم البحـر بالسفن، وكلمـا بعد عـن البحر كان مـاؤه قليـلاً ويجوزه من شـاء في كل موضـع. وهـي قطب لكثـير من البـلاد ... . الحمـيري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص ٨٠ – ٨١ .

جامعة بوضياف بولاية المسيلة الجزائرية

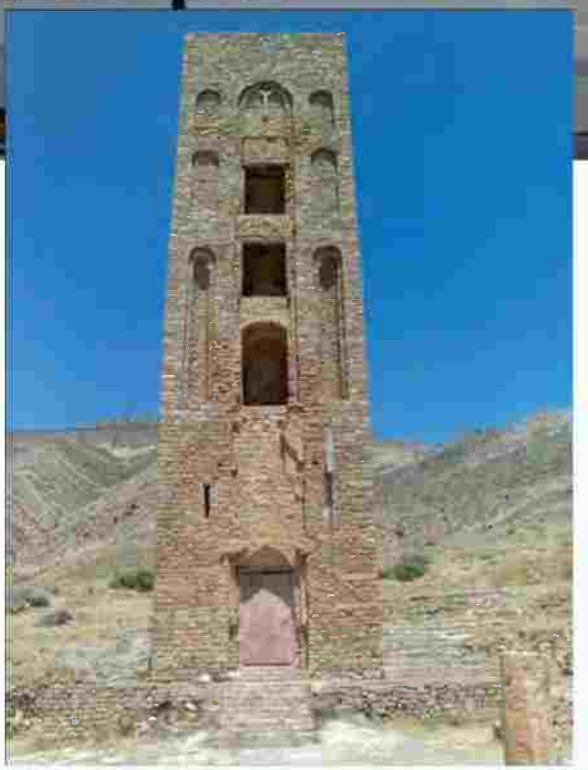

من آثار بني حماد في ولاية المسيلة الجزائرية

المَسِيلَةُ: بالفتح ثم الكسر، والياء ساكنة، ولام: مدينة بالمغرب تسمى المحمّدية اختطّها أبو القاسم محمد بن المهدي في سنة ٣١٥ وهو يومئذٍ وليّ عهد أبيه، وأبو القاسم هذا هو الذي يلقب بالقائم بعد المهدي من المنتسبين إلى العلويين الذين كانوا بمصر؛ ينسب إليها أبو العباس أحمد بن محمد ابن حرب المقري بمصر، قرأ القرآن ورحل إلى بَطليوس فلقي بها أبا بكر محمد بن مزاحم الخزرجي وقرأ عليه أبو حميد عبد العزيز بن علي بن محمد بن سلمة السيحاني المقري. الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ١٣٠.

أحد المروج الطبيعية في تاهرت « تيارت » الجزائرية

تاهرت أو تيهرت Tiaret: مدينة جزائرية تقع في شمالي الجزائر، وهي عاصمة ولاية تاهرت. تمثّل نهاية جبال الأوراس في منطقة أطلس التل، مناخها معتدل، وهي مركز زراعي مهم في المنطقة، تشتهر بزراعة الحبوب وتربية المواشي و الخيول العربية الأصيلة. وتاهرت اسم كان يطلق على مدينتين في المغرب الأوسط (الجزائر)، تاهرت القديمة، المدينة الرومانية التي يصفها ابن حوقل بأنها مدينة قديمة أزلية، وتعرف اليوم بتيارت بعمالة وهران، وتاهرت الحديثة (تاقدمت اليوم) التي بناها عبد الرحمن بن رستم، مؤسس الدولة الرستمية، وهي على بعد عشرة كيلومترات غرب تاهرت القديمة، ومن تتبع أخبار تاهَرت يُلاحظ أن اليعقوبي، وهو من جغرافيي القرن الثالث الهجري، لا يتحدث إلا عن تاهرت المحدثة، بينما يصف ابن حوقل، وهو من جغرافيي القرن الرابع الهجري، تاهرت القديمة والمحدثة معاً مما يدل على أن الحياة عادت ثانية إلى القديمة، فهو يذكر أن في القديمة كثيراً من الناس، وفيها جامع كما أن للمحدثة جامعاً، ولكل منهما إمام وخطيب إلا أن التجار والتجارة بالمحدثة أكثر، ويشير إلى أن لأهل المدينتين مياهاً كثيرة تدخل على أكثر دورهم، وأشجاراً وبساتين وحمامات وخانات وأن العسل والسمن وضروب الغلات كثيرة، وكذلك الماشية والغنم والبغال والحمير، أما الشريف الإدريسي، وهو من علماء القرن السادس، فإنه يذكر أن مدينة تاهرت كانت فيما سلف من الزمان مدينتين كبيرتين إحداهما قديمة والأخرى محدثة، ولكنه لا يصف إلاّ تاهرت القديمة، فيذكر أنها ذات سور وعلى قِنّة جبل قليل الارتفاع، وبها ناس وجماعات من البربر ولهم تجارات وبضائع وأسواق عامرة، وبأرضها مزارع وضياع جمة، مما يدل على أن المحدثة لم يعد لها شأن، وهذا ما يؤكده ابن خلدون الذي يذكر أن كثرة الغارات التي كانت تشن عليها في عهد الموحدين دفعت أهلها إلى هجرها «فخلا جوها وعفا رسمها» في سنة ٦٢٠هـ/١٢٢٣م، بينما نهضت تاهرت القديمة من بين الأطلال واستمر نهوضها إلى العصر الحديث. نجدة خماش، الموسوعة العربية، مادة تاهرت

مدينة طنجة (بالأمازيغية: Tinji، وبالإنجليزية: Tangier) في شمالي المملكة المغربية، تعتبر خامس أكبر مدينة فيها، ويبلغ عدد سكانها حوالي ٧٠٠,٠٠٠ نسمة. وتتميز المدينة بكونها نقطة التقاء بين البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي من جهة، وبين القارة الأوروبية والقارة الإفريقية من جهة أخرى.

موقع مدينة طنجة من الفضاء الخارجي

مغارة هرقل بطنجة المغربية

طَنْجَةُ: مثل الذي قبله وزيادة هاء، مدينة في الإقليم الرابع، طولها من جهة المغرب ثمانون درجة، وعرضها خمس وثلاثون درجة ونصف من جهة الجنوب؛ بلد على ساحل بحر المغرب مقابل الجزيرة الخضراء وهو من البر الأعظم وبلاد البربر؛ قال ابن حَوْقَل: طنجة مدينة أزلية آثارها ظاهرة بناؤها بالحجارة قائمة على البحر، والمدينة العامرة الآن على ميل من البحر وليس لها سور وهي على ظهر جبل، وماؤها في قناة يجري إليهم من موضع لا يعرفون مَنبعه على الحقيقة، وهي خصبة، وبين طنجة وسَبْتَةَ مسيرة يوم واحد، وقيل: إن عمل طنجة مسيرة شهر في مثله، وهي آخر حدود إفريقية؛ عن السكري عن أبي عبيدة، وبينها وبين القيروان ألفا ميل؛ وينسب إليها أبو عبد الملك مروان بن عبد الملك بن سَنجُون اللَّوَاتي الطنجي، روى عن أبي محمد عبد الله بن الوليد الحجازي وطبقته ورحل إلى المشرق فأقام به سبع عشرة سنة يقرأ الحديث ويتردد فيه، ومن جملة مشايخه طاهر بن بابشاذ النحوي، وكان له شعر وإنما قرأ المسائل والوافي بعد رجوعه إلى المغرب، وكان يقول: لم أدخل إلى الشرق حتى حفظت أربعة وثلاثين ألف بيت من أشعار الجاهلية، وله خطبٌ وهو من الفصحاء الكبار بطنجة؛ وينسب إليها أيضاً أبو محمد عبدون بن علي بن أبي عزيزة الطنجي الصنهاجي، روى عن الأصبغ بن سهل ومروان بن سنجون وغيرهما، وَلِيَ القضاء ببلده. الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٣ .

١ يزيد بن معاوية يعهد إلى سالم بن زياد ولاية **خراسان وسجستان** سنة ٦١هـ ٦٨١م وأوكل إليه مهام القيام بالفتوح فيما وراء النهر .

٢ سالم بن زياد يسير بجيش من **البصرة** إلى إقليم **خراسان** على رأس قوة كبيرة ، ضمت المهلب بن أبي صفرة، وعبد الله بن خازم السلمي، وطلحة بن عبد الله الخزاعي، وعمر بن عبيد الله بن معمر التيمي، وتمكن سالم بن زياد من طرق أبواب **بخارى وسمرقند** بعد مقاومة عنيفة ، والذي سيتضح بشكل جلي في عهد الوليد بن عبد الملك .

٣ انتدب سالم بن زياد أخاه يزيد بن زياد على الإقليم، وجرد جيشاً لحرب **زونبيل** صاحب **زابلستان**، غير أن الحملة فشلت، وقتل قائدها وقتل أخوه أبو عبيدة بن زياد. كما جرد حملة أخرى على خراسان بقيادة طلحة بن عبد الله الخزاعي الذي اقتدى أسرى العرب بألف ألف درهم، وأعاد الاستقرار إلى سجستان سالكاً في ذلك سبيل السياسة والتفاهم مع العدو قبل أن يباغتهم بالهجوم . وبعد وفاة يزيد بن معاوية **حدثت الفتنة بين عبد الله بن الزبير والأمويين**، فتوقفت الفتوح على الجبهة الشرقية، وانشغل عرب إيران بالفتنة حتى دارت بينهم حروب طاحنة .

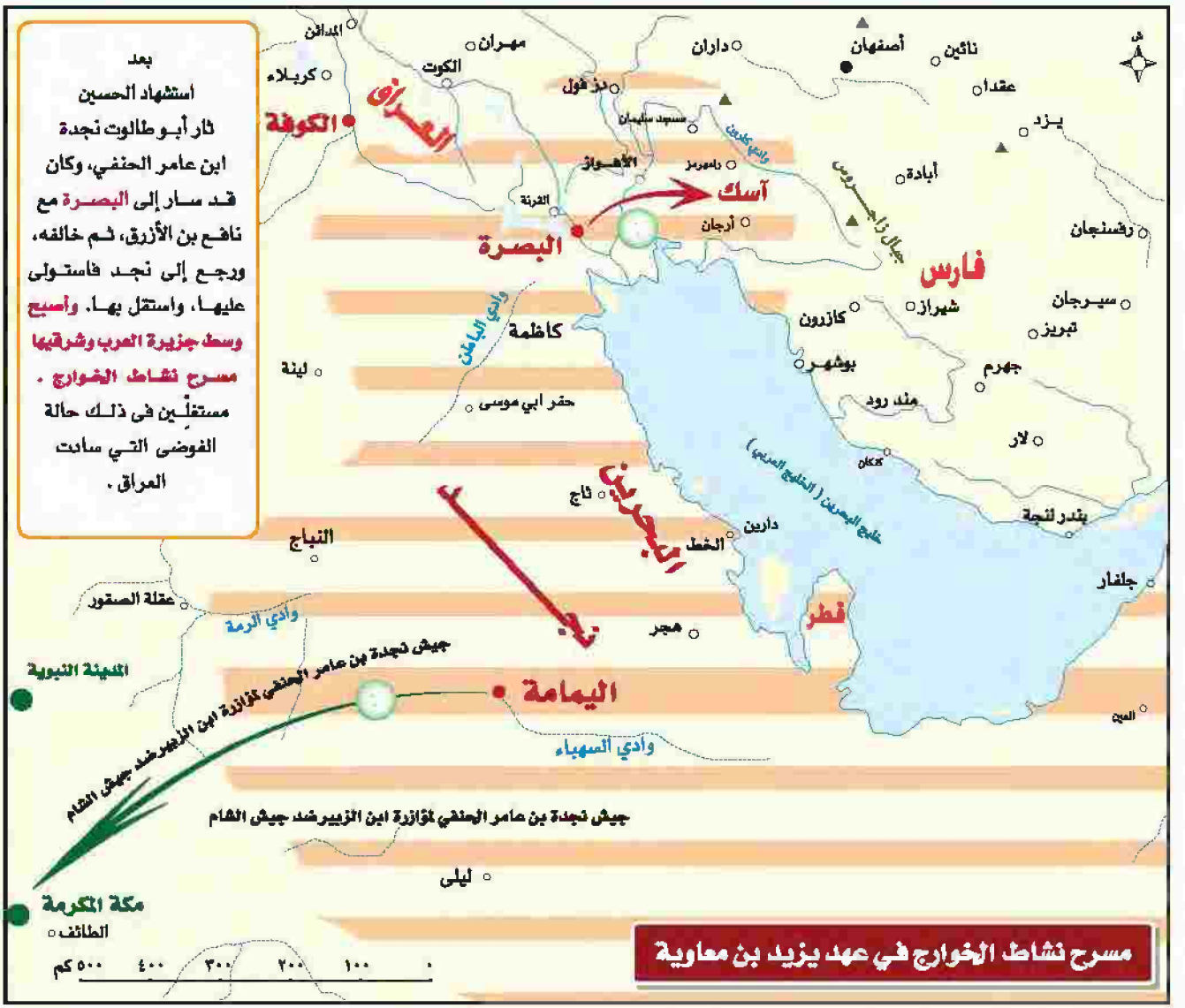

كان **أبو بلال مِرْداس بن أُدَيَّة**، وهو أحد أئمة **الخوارج**، قد قال لأصحابه: قد كرهتُ المقام بين ظهراني أهل البصرة، والاحتمال لجَوْر عبيد الله بن زياد، وعزمت على مفارقة البصرة، والمقام بحَيْث لا يجري عليَّ حُكْمُه من غير أن أشهَرَ سيفاً أو أُقاتل أحداً، فخرج في أربعين من الخوارج، حتى نزل **آسَك** موضعاً بين رامهرمز وأَرّجان، فمرَّ به مالٌ يُحمَلُ إلى ابن زياد من فارس، فغَصَبَ حامليه، حتى أخذ منهم بقدر أعطيات جماعته، وأفرَجَ عن الباقي. فقال له أصحابه: علامَ تُفرِّج لهم عن الباقي؟ فقال: إنهم يُصَلُّون، ومن صلَّى إلى القبلة، لا أُشاقُّه. **وبلغ ذلك ابن زياد**، فأنفَذَ إليهم **مَعْبَدَ بن أسلم الكلابي**، فلما تواقفا للقتال، قال له مرداس: علامَ تُقاتلنا ولم نُفسد في الأرض ولا شَهَرْنا سيفاً؟ قال: أريد أن أحملكم إلى ابن زياد. قال: إذاً يقتُلنا. قال: وإنَّ قَتْلَكم واجبٌ. قال: تُشارك في دمائنا؟ قال: هو على الحقّ، وأنتم على الباطل. فحمَلوا عليه حملَة رجل واحد، فانهزم، وكان في ألفَيْ فارس، فما رَدَّه شيءٌ حتى وَرَد **البصرة**، فكان بعد ذلك يقولون له: يا معبد جاءَك مرداس خُذْه. فشَكاهم إلى ابن زياد فنَهاهم عنه . الحموي، معجم البلدان، مادة آسك .